أهميّة التعبير:

1-من الزاوية النفسيّة الوجدانيّة التربويّة:

لقد كشفت نظريّة التفاعل (La théorie interactionniste) أنّ عمليّة التواصل إذا ما تمّ تحريكها وظلّت حيّة كثيرًا ما توهِم المتعلِّم أنّه يؤّدي مهامًا معيّنة مثل الإقبال على حلٍّ مشكِلٍ ما أو اتّخاذ قرارٍ أو تبادل الآراء مع غيره أو صوغ أفكارٍ كانت ملامحها غير واضحة؛ ولا شيء يتلِف الخيط الواصل مثل الكفّ عن التعبير الذي يكرِّسه الانطواء والانسحاب من الحياة (حياة الناس)، لكن رغم ذلك فالتواصل يطارد المرء، بل ويُكسِب الفرد المنعزل إمكانية ضبط أفكاره وكذا عواطفه وأحاسيسه وانفعالاته، لهذا يتّجه البعض إلى تدوين الأفكار عندما يُعطى انطباعًا بأنّ نتائج جهوده كانت سارّة ويعطى إحساسًا أنّ ظروفه قد تحسّنت أو تغيّرت مجرّد تغيّر ولم يعد في وضعه المتغيِّر ما يدعو إلى التزام الصمت، ونجد لدى بعضهم ميلا إلى ذلك يتجسد في تخصيص الكراريس، والمذكرات.. الخ، وكلّ ذلك يُشعِر المتعلِّم بمتعة المنجَز، والكتابة ملاذ إن لم يجد المرء في نفسه ما يرضيه يعيش في ذلك شخصيّة أخرى هو لا يزال يبحث عنها.

التعبير هو في حدّ ذاته حافز فلا أحد ينسى الحاجة البشريّة إلى التعبير، فالأفضل أن تُحوَّل هذه الحاجة في ميدان تعليمية اللغات إلى مصطلحٍ أكثر ذهابًا في التقنية فيقال الحافز وهو يوجِّه الدرس وبه تتحدّد الأهداف، مع هذا التحديد تتّضح الأمور في عين المعلِّم، لأنّه مرّة نجد هدفًا سليمًا لكنّه غير محدّد، وقد نعثر على هدفٍ محدَّدٍ غير أنّه غير سليم، فكما هو الحال دائمًا فإنّ وضع الأهداف الواضِحة هو أكبر المهام أهميّة، فالمعلِّم يبحث عن اهتمامات المتعلِّم ويسعى إلى تطويرها .وهذا من شأنه أن يجعل الخزين اللّغوي ينبعِث ويتدفّق مع ما يتعاطاه المعبِّر من تحويل التجربة الخاصة إلى أفكارٍ قابلة للصياغة بكل عفوية ودون العناية كثيرًا بوضع استراتيجيات.

2-من الناحية المعرفيّة الذهنيّة العقليّة: إنّ التلميذ يعايش وقائع مختلفة يشكِّل ذلك تجربة شخصيّة بإمكان المعلِّم أن يثيرها، لأنّه تبيّن لكثيرٍ من الدارسين أنّه عندما يُوفَّق التلميذ إلى التعبير عنها أو عن جزء منها يشكِّل ذلك سبيلاً من سبل التعلم، ذلك لأنّ فعل امتلاك المعرفة يقوم على استصدار الآراء ووضع الفرضيات أيضًا، واختيار واحدة منها ووضعها في محكّ التجربة.

كما يعدّ من وظائف المعلِّم أن يتدخّل مباشرة ليأخذ بيد المتعلِّم ولو للتظاهر في مساهمة حلّ مشكلاته التي يبدو أنّها تحول دون تقدّم وتيرة تعلّمه، وجعله يتوصّل بنفسه إلى فعل ذلك، ويحدث الأمرُ بإتاحته فرصة التعبير من أجل التخفيف الذاتي من وطأة الحسرة وتحفيز جسارته التي تمضي في التغلّب على الصعوبات المعرقِلة الناجِمة إمّا عن هوان النفس (Sous-estimation du soi) أو الإفراط في الاعتزاز بها(Surestimation du soi) ، وفي كلا الاعتبارين يكمن خطأٌ في تقدير المتعلِّم لنفسه ولمهام المدرسة في حقّه .كما يعمل المعلِّم على استفزاز المتعلِّم استفزازًا منهجيًّا

يملك وسائله بحيث يسأله عن آرائه الخاصّة على هامش سؤاله المركزيّ، أي إلى جانب ما يبحث عنه كجوابٍ سليمٍ على سؤالٍ معرفيٍّ دقيقٍ، لكن لا يضيع من باله أنّ مزج المتعلِّم بين ما هو موضوعيّ وما هو ذاتيّ لا يفقِر الأفكار بقدر ما يثريها، وما ينصح به البعض من ضرورة تحرّي الدقّة والإيجاز في صنع الأجوبة وبحجّة الالتزام بالموضوع المناقَش هو خطأ إذا قصِد منه التخلّي عن التعمّق الذي هو من وحي نشاطٍ ذهنيٍّ يتطلّب نوعًا آخر من النشاط وهو السلوك اللّفظيّ الذي يتوسّع به ولا يقدر الاستغناء عنه .

3-من زاوية منهجيات البحث: ناهيك عمّا يراه المتخصِّصون في منهجيات البحث من أنّنا سنتقدّم أشواطًا في البحث إن نحن عمدنا إلى إتقان تشخيص المسائل المراد بحثها ولا يتأتى ذلك إلاّ بحسن التعبير أو تعاطي التعبير على الأقلّ لكن بتركيز الاهتمام على تفادي الإبهام.

وهنا يحضرنا قول أرسطو:"المعنى يولِّد الكلام بِاعتِباره يُشغِل النّاسَ وكذلِك يُعتبَر الحديثُ صِيَّاغةً لِلدّلالة ..." ثمّ إنَّ كلَّ خبرٍ مَحصولٍ عليه عن طريق البَرْهَنَة ناتِجٌ عن مَعرفةٍ سابِقة الوجود « وَإنْ كان صاحبُها مِن شأنِه أنْ يتوسّلَ بِاللُّغة . وهو يُستفسَر عن الدّلالة المقصودة . تُعِدُّها وتَبنيها وَتُنظِّمها وَتُجسِّمها" عِلمًا أنّ الاستِعمالَ الأرِسطيّ لِلُّغة كنِظامٍ لِلتّصنيف الصّحيح لِلمَعرفة، بِما أنّ اللُّغة لا تُجسِّد العِلاقات وحسْب، بل وتَكشِف النِّقابَ عنها أيضا.

وللتعبير أهميّة في إكساب سلوكيات البحث عن المعطيات العلمية التي سيأتي التلميذ على تنظيمها، إذ يُكسِب نماذج وقوالب لغويّة فعّالة في توليد الدّلالات، ومساعدة على التفكير، وبالتالي البحث عن المعلومات، لكن على المعلِّم التذكّر دائما أنّ التعبير أوّلا وقبل كلّ شيء يأتي في نمط لغويّ.

مكانة التعبير بين فروع اللغة: للتعبير بشقيه الشفهي والكتابي مكانة مميزة بين فروع اللغة، وقد توّج المُنَظِّرون لتعليم اللغة التعبيرَ بهذه المكانة؛ لكونه الثمرة اليانعة التي يتمُّ حصادُها من بذور فنون اللغة الأخرى، ويمكن أن نذكر أسباباً عديدة جعلت التعبير يكتسب تلك القيمة والمنزلة بين فروع اللغة ومنها:

-أن التعبير وسيلة الإنسان لعرض أفكاره وآرائه، وشرح وجهة نظره؛ فهو وسيلة اتصال بين الفرد وغيره.

-أن التعبير فيه إحساس بثقة المرء بنفسه، وشعوره بأنه قادر على التفاعل الفكري مع الآخرين.

-إن عدم القدرة على التعبير، والإخفاق فيه يسبب للإنسان اضطراباً وفقدان ثقة؛ مما قد يعوق النمو الاجتماعي عنده.

-أن التعبير أداة المتعلم في الكشف عمّا يعرفه في المجالات الأخرى التي يتعلمها.

-أن في التعبير تدريباً على الترتيب والتسلسل، وفيه تدريب على النطق، والربط بين الأفكار.

-أن في التعبير إمداداً لغوياً يزيد من ثروة الطفل اللغوية والمعرفية والفكرية.

و يمتاز التعبير بين فروع اللغة بأنه غاية، وغيره وسائل مساعدة معينة عليه مثل :القراءة، والإملاء، والقواعد ...وتأتي هذه الأهمية من كون التعبير هو أهم الغايات المنشودة من دراس اللغات؛ لأنه

وسيلة الإفهام، وهو أحد جانبي عملية التفاهم، وكذلك هو وسيلة لاتصال الفرد بغيره، وأداة لتقوية الروابط الفكرية والاجتماعية بين الأفراد، بالإضافة إلى أن عدم الدقة في التعبير يترتب عليه فوات الفرص، وضياع الفائدة.

والتعبير ليس فرعاً معزولاً عن باقي فروع اللغة، بل هو متداخل في مهاراته اللغوية مع فروع اللغة الأخرى إلى حد كبير، وهذا يعني أن التخطيط للبرنامج اللغوي في أية مرحلة تعليمية، أو صف دراسي لابد أن يخطط كوحدة متكاملة تراعي المستوى اللغوي للمهارات المخصصة لكل فرع لغوي على المستويين الرأسي والأفقي معاً، باعتبار التعبير هو المحصلة النهائية للدراسة اللغوية.

والتعبير" كما يقال :رياضة الذهن؛ فالأفكار والمعاني غالباً ما تكون غامضة وغير محددة في الذهن، فالإنسان عندما يضطر إلى التعبير فهو يضطر إلى إعمال الذهن؛ لتحديد الأفكار والمعاني وتوضيحها.

ويمكن القول : إن التعبير يمثّل أعلى درجات المستويات المعرفية، فهو يتطلب من الإنسان حتى يفصح عمّا في نفسه أن يحلل ما يريد أن يوصله للمستمع أو القارئ، ثم يركب ما يمتلك من المعاني والأفكار في كلمات وجمل وعبارات، يستطيع من خلالها الوصول للغاية المنشودة من رسالته.

أسس تعليم التعبير:

تمثّل أسس تعليم التعبير منطلقاً مهمّاً للمعلمين والتربويين ومؤلفي المناهج، فهي أهم المرتكزات التي تأخذ بيد المتعلم إلى أن يصل إلى درجة الإتقان، ولا ينبغي إغفال هذه الأسس أو تجاهلها وإلا سيمر تعليم التعبير ببعض العثرات والصعوبات، ويقوم تعليم التعبير على عدة أسس يقسّمها الباحثون إلى ثلاثة أسس رئيسة هي:

أ –الأسس النفسية:

-ميل الأطفال إلى التعبير عمّا في نفوسهم، والتحدث مع أهليهم، وذويهم.

-ميل الأطفال إلى المحسوسات، وبعدهم عن المعنويات، ومراعاة هذا المبدأ يساعد على تخير الموضوعات التي تلائم التلاميذ.

-ينشط التلاميذ للتعبير إذا وجد لديهم الدافع والحافز.

-يقوم الذهن أثناء التعبير بعدّة عمليات عقلية؛ تتمثل في عمليتي التحليل، والتركيب، وتنمو هاتان العمليتان من خلال زيادة المحصول اللغوي للتلميذ.

-يعتمد في تعلم اللغة على المحاكاة والتقليد؛ لذا يجب على المعلم ين أن تكون لغتهم في المدرسة لغة سليمة جديرة بأن يحاكيها التلميذ.

ب– الأسس التربوية:

-الحرية؛ بحيث يترك للتلميذ – أحيانا –حرية اختيار الموضوع الذي يحب أن يتحدث أو يكتب فيه، وكذلك حرية عرض الأفكار التي يريد، واختيار العبارات التي تؤدي إلى فهم أفكاره.

-ليس للتعبير زمن معين، بل هو نشاط مستمر يجب انتهازه في كل فرصة.

-لا يمكن للتلميذ أن يعبّر عن موضوع ليس له علم سابق به؛ لذا ينبغي أن تختار الموضوعات المتصلة بأذهان التلاميذ.

ج- الأسس اللغوية

-لابد من العمل على زيادة محصول التلاميذ اللغوي من خلال القراءة والاستماع.

-التعبير الشفوي أسبق من التعبير الكتابي.

ويضيف بعضهم أسسا أخرى ينبغي على المعلم أن يلتفت إليها أثناء تدريس التعبير، هي:

-الاهتمام بالمعنى قبل اللفظ، فلابد أن يشعر المعلم تلاميذه بهذا.

-تزويد التلاميذ بمعايير ومستويات تستخدم عند الكتابة أمر ضروري؛ لتقدم التلاميذ في كتاباتهم نحو أهداف محددة.

-يجب أن يستقي التلاميذ من المواد الدراسية المختلفة الأفكار والمعلومات التي تساعدهم في توظيفها في تعبيرهم.

إن هذا التنظير المهم لأسس تعليم التعبير هو مع الأسف غائب عن أذهان بعض معلمي اللغة العربية؛ مما جعلهم لا يشعرون بأهمية هذه المادة، ولا يشعرون تلاميذهم بها بسبب إغفالهم لهذه الأسس.

أهداف تعليم التعبير: هناك أهداف كثيرة لتعليم التعبير بشقيه الشفوي والكتابي، وبنوعيه الوظيفي والإبداعي، ومن أهمها:

-أن يعتاد التلميذ التحدث والكتابة باللغة الصحيحة.

-أن يتقن التلميذ الملاحظة السليمة عند وصف الأشياء والأحداث وتنوعها.

-أن يتربى عند التلميذ الاستقلال في الفكر.

-أن ينتقي الألفاظ المناسبة للمعاني، وكذا التراكيب والتعبيرات؛ لأنه سيحتاج إليها في حياته اللغوية.

-أن يتعود السرعة في التفكير والتعبير، وكيفية مواجهة المواقف الكتابية الطارئة، والمواقف الشفوية المفاجئة.

-أن يعبّر تعبيراً صحيحاً عن أحاسيسه ومشاعره وأفكاره في أسلوب واضح ومؤثر، فيه التخيل والإبداع.

-أن يوسع ويعمّق أفكاره، ويتعود التفكير المنطقي، وترتيب الأفكار وتنظيمها في كل متكامل.

-تنمية شخصية التلميذ للعيش في المجتمع بفعالية.

-مساعدة التلميذ على زيادة الخبرة، والثروة الثقافية.

-المساهمة في تنمية قدرة التلميذ على الارتجال، وأدب الحديث.

-وقاية التلميذ من الشعور بالنقص الناتج عن إحساسه بعدم القدرة على التعبير السليم.

ويتضح مما سبق أن كل هدف من هذه الأهداف يشمل مجموعة كبيرة من المهارات اللغوية التي لا يمكن تحقيقها إلا بالدربة والمران من خلال المواقف اللغوية المتنوعة لجميع التلاميذ ابتداءً من المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية.